

# الأسرة المسلمة : النظام البديل<sup>1</sup>

عبد الحق منصوري - جامعة وهران ، الجزائر Algeria

عملية إعداد الانسان الاجتماعي المسؤول وتأهيله للقيام بأعباء الحياة وخلافة الله سبحانه في أرضه هي في الحقيقة عملية شاقة، تتطلب تضحيات جسيمة ومتابعة دقيقة وتفريغاً تاماً لمدة طويلة نسبياً. فالكائن البشري يقضي أطول مرحلة طفولة يستطيع المجتمع خلالها وبواسطة عدد من مؤسساته أن يضمن له إعداداً جيداً وتربية مؤهلة. وقد أكد البحث العلمي أن عملية إعداد هذا الكائن والارتقاء به من مستوى التبعية والاعتماد الكلي على الآخرين إلى مستوى النضج والاستقلال والاعتماد على النفس لا تقوى عليها سوى الأسرة المتماسكة. وجاءت نتائج الدراسات تؤكد أن حاجة الوليد البشري إلى ملازمة أبويه هي أشد من حاجة أي وليد حيواني آخر، وأن الأسرة المستقرة هي ألزم له وألصق بفطرته لا بديل له عنها.

<sup>1</sup>- مقال نشر في مجلة المنهل ، العدد 607 ، المجلد 69 ، في رجب 1428 هـ الصفحات 128- 135 .

من هنا يصبح إنشاء الأسرة المسلمة أمرا ومطلبا ضروريا تستوجبه فطرة الانسان وتفرضه طبيعة الرسالة التي ينتظر منه أن يؤديها في هذه الحياة. وهذا ما سوف نحاول توضيحه في هذه المقالة معتمدين في ذلك على نتائج الدراسات العلمية والاستقرارات الميدانية حول نظام الأسرة وواقعه ومتطلباته.

### لا يمكن الاستغناء عن الأسرة

حاول كثير من أنصاف العلماء وبعض المذاهب المتعسفة إقناع البشرية بأن النظام الأسري يفرض على الانسان قيودا كثيرة هو في غنى عنها. واقترحوا بذلك إلغاءه وتحويل مهامه إلى مؤسسات اجتماعية أخرى. وكان القصد من وراء هذه المحاولة اليانسة رفع القيود والضوابط الأخلاقية التي لازمت الكيان الأسري للقضاء على مظاهر العفة والفضيلة ولكي تفقد الحياة كل معاني الانسانية وخصائصها. ذلك أن النظام الأسري قد أثبتت الدراسات العلمية - على عكس ما ادعاه هؤلاء - أنه ليس بإمكان البشرية الاستغناء عنه. فالأسرة هي المحضن الطبيعي (الذي يتولى حماية المواليد الناشئة و رعايتها وتنمية أجسادها وعقولها و أرواحها ، وفي ظلها يتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتتطبع بالطابع الذي يلزمها مدى الحياة، وعلى هديها تتفتح للحياة وتفسر الحياة وتتعامل مع الحياة). (1) أما المحاضن الجماعية فإن نظامها يصطدم بفطرة الانسان وتكوينه النفسي، فيحرمه من حنان أمه ورعايتها ويملاً نفسه بالعقد والاضطرابات. ولقد أثبتت تجربة المحاضن الجماعية أنه خلال السنتين الأولى و الثانية يحتاج الطفل - حاجة نفسية فطرية - إلى أن يستقل و يستأثر بوالديه و بالخصوص الأم التي لا ينبغي أن يشاركه فيها غيره بحيث عندما يحتاج إليها لا بد أن يجدها قريبة منه.. كما أنه لا بد أن يشعر فيما بعد أن له أبا و أما متميزين يمكنه الانتساب إليهما.(2) و إذا كان يستحيل تحقيق الأمر الأول في هذه المحاضن فإن تحديد الهوية و النسب لا يتم إلا في إطار أسرة شرعية و لا يأخذ معناه إلا في ظلها.

وللبرهنة على ذلك نعرض فيما يلي بعض نتائج الدراسات التي تعلقت بعينات من الأطفال الذين ، لسبب أو آخر، حُرّموا من الحياة الأسرية خصوصا في المرحلة المبكرة من العمر.

لقد تراكمت الأدلة التي تشير بوضوح إلى حدوث أنواع من التثوّهات و الانحرافات في نمو عدد كبير من الأطفال الذين عاشوا في المراكز الجماعية وحُرّموا من الحياة الأسرية. هذا الانحراف في النمو، كما أشارت الدراسات، قد شمل النواحي الجسمية والعقلية والنفسية - العاطفية والاجتماعية. وبالنسبة لكثير من الأطفال ظلت هذه الآثار السلبية تلازمهم طوال حياتهم.. وحسب تقرير كثير من الباحثين لم تكن هذه الآثار و هذه الأعراض لتظهر لو أتيح لهؤلاء الأطفال أن يعيشوا في كنف الأسرة.

فهذا "بيتلحم Bettelheim" بعد أن أجرى الفحوصات على عينة من الأطفال تربّوا في محاضن جماعية ولم يحصبوا على رعاية أسرية، خلص إلى القول " إن شخصية غير مرغوب فيها ترتبت عن هذه النشأة". (3) وفي دراسة أخرجها "براون Brown" استطاع أن يكشف بالبراهين القوية و الاشارات الواضحة على وجود أعراض وأمراض عصبية مع هذا النوع من الأطفال، الشيء الذي لم يلاحظه في المجموعة الضابطة التي كانت تتكوّن من أطفال عاشوا مع ذويهم في محيط أسري.(4) كذلك ، وبعد عرض نتائج لعدد من الدراسات التي تتبعت أحوال وأوضاع عينات من الأطفال قضوا الجزء الأكبر من حياتهم في أحضان مؤسسات بعيدين عن الأجواء الأسرية، فإن كلا الباحثين "بولبي Bowlby و وولف Wolff" ، وبتركيز خاص على دور الأم توصّلا تقريبا إلى نفس الخلاصة. فأما "بولبي" فإنه يرى أن الدليل في درجة من القوة بحيث لم يعد هناك شك في أن الحرمان الطويل من حماية الأم و رعايتها يترك حتما آثارا سلبية قوية و عنيفة تؤثر في حاضر ومستقبل الفرد.(5) وأما " وولف" فقد قال "يعتمد الوليد البشري بين الشهر السادس والسنة الثانية فيما يتعلق بنمو العقلي والنفسي على الاثارة القوية و على الرعاية العاطفية من قبل أفراد هو على درجة كبيرة من التعلق العاطفي بهم، يعرفهم معرفة جيدة

ويعرفونه كفرد متميز عن سائر الأفراد.. وإن فقدان الأم في هذه المرحلة، وخاصة إذا انتقل الطفل بعد ذلك إلى مؤسسة اجتماعية، لا بد أن يترك آثاره السلبية على شخصيته ربما لازمته مدى حياته.(6)

وهذا لا يقلل من أهمية دور الأب في هذه المرحلة.. فمثلما ركز "بولبي" و"وولف" وعلماء آخرون على دور الأم وضرورة تواجدها قريبة من طفلها فقد اهتمت باحثون، أمثال "Nash" غياب الأب في المرحلة المبكرة من حياة الطفل عاملاً مؤثراً قد يخلف آثاراً خطيرة وذات شأن في حياته المستقبلية.(7)

وظل الأطفال الذين عاشوا خارج الأسرة أسوأ حالاً حتى عند مقارنتهم بالأطفال الذين عاشوا في أسر مع أبوين سيئين. ففي دراسة نقلها "بولبي" تناولت بالبحث أوضاع مجموعة من الأطفال تراوحت أعمارهم بين سنة و أربع سنوات، قضوا حياتهم في مؤسسات اجتماعية عند مقارنتهم بعينة أخرى من الأطفال نشأوا في أسر وكانوا مع ذلك يقضون ساعات النهار في دور الحضانه نظراً لأن أمهاتهم كن يشغلن خارج البيت. وحسب نتائج الدراسة إن الذين عاشوا مع ذويهم كانوا أحسن حالاً من الذين تلقوا تربيتهم الأولى داخل مراكز اجتماعية.(8) وفي دراسة تتبعية لمجموعتين من الراشدين سبق لأفراد إحداهما قضاء الخمس سنوات الأولى من حياتهم في مراكز الطفولة. في حين لم يُحرم أفراد المجموعة الأخرى في هذه الفترة من الحياة الأسرية. والنتيجة جاءت مرة أخرى في صالح الأفراد الذين نشأوا في أحضان الأسرة. وهذا بالرغم من أن 80% منهم ترعرعوا في أسر كانت تفتقر إلى الحد الأدنى الذي يتطلبه نمو الأطفال الطبيعي.(9) وتجدر الإشارة إلى أن هذه النتائج أكدت حتى بعد تحسين ظروف الأطفال داخل المؤسسات والمراكز وتجهيز هذه الأخيرة بالوسائل والأدوات الحديثة وتوظيف طرق مؤثرة وتقنيات فعالة من قبل مربّيها. كان حظ الأطفال الذين يعيشون مع أسرهم أوفر في أن يحبوا حياة سليمة وأن يتمتعوا بحياة استقرار وسعادة.(10)

خلاصة القول، تأكد لدينا من خلال نتائج الدراسات العلمية أنه إذا كان بإمكان نسبة قليلة من الناس رغم حرمانهم من الحياة العائلية تحقيق قدر كبير من النجاح في حياتهم فإنه بالنسبة للأغلبية الساحقة من أفراد المجتمع البشري لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بعد أن تقدم الأسرة مساهمتها.

### فشل الأسرة المعاصرة في أداء مهمتها

كانت الأسرة إلى عهد قريب تعتبر المعقل الأول الذي ينشأ فيه العنصر البشري تقوم بإشباع حاجاته البيولوجية والنفسية والاجتماعية.. فتزوده بالمهارات الضرورية كما تيسر له عملية امتصاص قيم المجتمع وعاداته ومعتقداته. إضافة إلى ما تقدمه من نماذج سلوكية تساعده على الاندماج في المجتمع ويخرج الفرد من أسرته وقد أعد للدخول في النشاط الاجتماعي من أبوابه الواسعة. إلا أنه، نتيجة لما حصل من تطورات اجتماعية شاملة وتغيرات جذرية على كل الأصعدة، فإن الأسرة المعاصرة ونظراً لظروفها لم تعد تفي بكل هذه الحاجيات. فهذا "براين ولسون Bryan Wilson" بعد أن تعرض لبعض ما يحدث للأسرة من تقلص في الوظائف وتدهور في الأوضاع. انتهى إلى القول " إن الأسرة قد ذهب رونقه وفقدت استقرارها وكل معنى سام ظل يلزمها. كما أنها لم تعد مجالاً مناسباً وإطاراً صالحاً يحدد فيه هويته." (11) كذلك فإن القانون الذي وُضع أصلاً لحماية مصالح الأفراد والجماعات والهيئات أصبح في الوقت الراهن، كما يرى "برتراند روسال B.Russell" يتدخل باستمرار بين الآباء والأبناء .. و بالتدرج

تحول إلى واحد من أعنف معاول هدم النظام الأسري .(12) في نفس هذا الاتجاه وبعد دراسة متأنية وواعية لنوعية الحياة في ظل الأسرة المعاصرة، يكتب " زمرمان Zimmerman" موضحا وفي نفس الوقت محذرا: " إذا لم تنبثق نهضة مجددة تغيّر مجرى الحياة، فإن النظام الأسري المعاصر سوف يستمر في التدهور وبالتالي الاقتراب أكثر من نقطة النهاية."(13) نفس هذه الملاحظات حول مشاكل الأسرة ومستقبلها يسجلها يوميا الباحثون والأخصائيون والمرشدون و أصحاب الحكمة، وقد قام " فلتشتر R.Fletcher" بجمع بعضها " الأسرة و الزواج في بريطانيا" و هي في جملتها تبعث على القلق و الحيرة و تنبئ بالخطر الداهم و إمكانية حدوث الكارثة. (14) و ما دما بصدد عرض نموذج الأسرة الذي اشترك في التأكيد عليه و الدعوة إلى توفيره الشرع و العلم، لا بأس أن نذكر و لو بإيجاز العوامل التي ساهمت في تدهور الأسرة المعاصرة، لنتبين فيما بعد كيف أسس الاسلام نظاما محكما مترابطا للأسرة.

**1- حرية ممارسة الجنس خارج العلاقة الزوجية الشرعية..** مما جعل الكثير من الناس لا يفكرون في الزواج. فقد وجدوا طريقة ميسورة وسهلة لإشباع حاجاتهم الجنسية بدون أن يتحملوا معها مسؤولية تجاه الكيان الأسري وما يدور في فلكه. إن جميع القيود الدينية والأخلاقية والاجتماعية المتعلقة بإشباع الغرائز تلاشت وانطلق السعار الجنسي المحموم بلا حاجز حتى تحوّل الادميون إلى قطعان من البهائم، كما يقول سيد قطب،" ينزو فيها الذكران على الإناث بلا ضابط إلا ضابط القوة أو الحيلة أو مطلق الوسيلة." (15) وبإطلاق الشهوات من كل قيد وتحري اللذة في كل تصرف، فقد تم إقصاء الواجب الانساني والاجتماعي. وساهمت الأفلام المسخرة والاعلام الدنس في التوهين من روابط الأسرة و التصغير من شأن الرابطة الزوجي، بل و تشويبه واحتقاره. أما الارتباطات القائمة على مجرد الهوى المتقلب والعاطفة الهائجة والنزوات الجامحة فقد عظم شأنها وارتفعت قيمتها.. ولا عجب إذا وجدت من يسمي العلاقة غير الشرعية بالرباط المقدس في حين يعتبر العلاقة الزوجية الشرعية بمثابة عقد لبيع الجسد. إن سهولة تلبية الميل الجنسي والفوضوي التي تتميز بها العلاقات الجنسية وسهولة التخلص من الأجنة وحتى من المواليد، كلها عوامل لا تدع مجالاً لتكوين الأسرة ولا تساعد على ضمان استقرارها في حالة إنشائها. لهذا يقل الزواج ويقل النسل. ففي فرنسا مثلا سبعة أو ثمانية في الألف فقط هو معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون اليوم. والقليل من هؤلاء ينوون بالزواج التحصن والنزاهة المعيشة البرة الصالحة ، وكثيرا ما يدفعهم إلى هذا الزواج الرغبة في تحليل الولد الذي ولدته أمه قبل النكاح وبذلك إعطائه الشرعية الاجتماعية. فهذه امرأة تأتي إلى محكمة الحقوق ببيان الفرنسية لتصرح وبكل شجاعة وجرأة، " إنني قد كنت وافقت زوجي على عقد النكاح ولا أقصد به إلا استحلال الأولاد الذين ولدتهم نتيجة اتصالي به قبل الزواج. وأما أن أعاشره و أعيش معه كزوجة فما كان في نيتي عند ذلك ولا هو في نيتي الآن. ولذلك اعتزلت زوجي في أصيل اليوم الذي تم فيه زواجنا ولم ألتق به إلى هذا اليوم لأنني كنت لا أنوي قط أن أعاشره معاشرة زوجية."(16)

**2- ظهور أنواع مختلفة من الزواج..** كالزواج المؤقت أو الزواج التجريبي. وهذا أيضا أسلوب لا يشجع على التفكير في الاستقرار من خلال بناء حياة أسرية ثابتة.

**3-** مزاحمة الطفل غير الشرعي للطفل الشرعي.. حتى بلغ عدد الأطفال غير الشرعيين في بعض المجتمعات نسبة 80% من مواليد بعض السنوات.(17) فالمرأة التي ترغب في طفل تستطيع أن تطلبه بدون أن تسلك طريق الزواج الشرعي ما دام قد رُفعت جميع القيود على موضوع الجنس والممارسات الجنسية. و ظهر في هذا العصر ما يسمى بالأُم غير المتزوجة.. التي وجدت من يدافع عنها و يطالب لها بالحقوق، مما جعل الأُم الشرعية تحتار في أمرها وتتساءل حول معنى وجودها والهدف من بقائها.. خاصة وأن حملات عنيفة توجّه ضدها و تطالبها بالحد من نسلها في الوقت الذي تجد فيه الأُم غير الشرعية كل الترحاب وكل التشجيع وكل المساعدة، وُفتح المجال واسعا للتكفل بها واحتضان طفلها الذي تلده من جراء العلاقة الجنسية الآثمة.

**4-** التركيز عند تأسيس الأسرة على الاعتبارات المادية.. حتى وجدنا في أوروبا و أمريكا من يرغب في الزواج من الأوروبية و الأمريكية بهدف الحصول على شهادة الإقامة في هذه البلدان لتستفيد هي في مقابل هذه الخدمة بعض الدولارات. فالزوج والزوجة على غير استعداد لإنعاش هذه العلاقة و توثيق الصلة بينهما نتيجة غياب الأهداف النبيلة والسامية التي كان يمكن أن تشدهما إلى الإطار الزوجي الأسري.. وتحوّل بذلك إلى زواج تقف فيه المصلحة الشخصية فوق كل اعتبار آخر.

**5-** وجود ممارسات قانونية تعسفية لا تعزز الزواج الناجح و لا تحميه.. كما أنها في الوقت ذاته لا تسمح بحل عقد الزواج الفاشل وفك رباطه. كما أن تحديد الحقوق والواجبات داخل الإطار الأسري قلما جاء مراعيًا لمتطلبات الحياة الأسرية الكريمة.. وأكثر ما حصل فيه الاجحاف والجور. وأما النصوص القانونية ففيها الكثير من الغموض ما يفتح المجال للتأويلات المختلفة وأحيانا المتعارضة وساعد في ضياع الحقوق والواجبات إفراطا أو تفريطا. كانت هذه بعض العوامل التي ساهنت بشكل مباشر في إضعاف الكيان الأسري المعاصر حتى لم يعد قادرا على تحمّل مسؤولية تكوين الأجيال. ولقد حان الأوان للبدء في التفكير الجاد لمراجعتة أو استبداله بغيره قصد تدارك الموقف. والبديل الذي سبق أن جربته البشرية وقطفت نت ثماره حيناً من الدهر هو نظام الأسرة الذي دعا إليه الاسلام.

### **فشل الأسرة المعاصرة في أداء مهمتها**

يعالج الدين الاسلامي الأسرة قبل نشأتها و أثناء تأسيسها وخلال توسعها وتزايد أفرادها. ويحيطها بكل الضمانات التي تكفل استمرارها و استقرارها. ففي ظل هذه الأسرة الربانية تُصان الحقوق وتُؤدى الواجبات في الرخاء و وقت الشدة. ذلك أن الهدف الذي من أجله شرع تكوين هذه الخلية يتمثل في إقامة حدود الله سبحانه، و ورد في القرآن الكريم تعليل إباحة الطلاق وفك رباط الزوجية حين تلتمسها المرأة بعدم قدرة الزوجين على إقامة حدود الله. قال الله تعالى " فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به."(18) كذلك علل المولى عز وجل إباحة رجوع المرأة المطلقة إلى زوجها بعد أن تنزوج أحدا غيره بقدرتهما من جديد على إقامة حدود الله. قال تعالى " فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله."(19) وهكذا، كما يقول النحلوي " ينشأ الطفل في بيت أقيم على تقوى الله و رغبة في إقامة حدود الله وتحكيم شريعته فيتعلم بل ويقتدي بذلك من غير كبير جهد أو عناء إذ يمتص عادات أبويه بالتقليد ويقتنع بعقيدتهما الاسلامية حين يصبح واعيا.(20)

إن هذا المحضن الطبيعي عني به الاسلام عناية تامة وأحاطه بكل أنواع الرعاية. ومن ثمرات ذلك كله تمتع الزوجين في إطاره بالسكون النفسي. ونقرأ في هذا الصدد قوله تعالى " هو الذي خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسمن إليها."(21) وقوله تعالى " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة."(22) واجتماع الزوجين على أساس الرحمة والمودة من شأنه أن يمنح الأطفال فرصة العيش في جو سعيد يهبهم الثقة والاطمئنان ويمدّمهم بالمودة والعطف، خاصة وأن الاسلام قد ألقى على عاتق الأبوين مسؤولية رحمة

الأطفال ومحبتهم باعتبار هذا العنصر من أهم أسس نشأتهم ومن أبرز مقومات نموهم النفسي والاجتماعي. وكان رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام مثلاً أعلى في معاملة الأطفال والرفق بهم والصبر على مداعبتهم. فقد روي عن قتادة قال: خرج علينا النبي - صلى الله عليه وسلم- و أمام بنت أبي العاص على عاتقه، فصلى فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها.(23) و روي أن أبا هريرة- رضي الله عنه- قال: قبّل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال " من لا يرحم لا يُرحم." (24) وروي عن عائشة- رضي الله عنها- قالت : جاء أعرابي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم؟! فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - "أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك." (25) وكان رسول الله- صلى الله عليه وسلم - يأخذ أسامة بن زيد فيقعه على فخذة ويقعد الحسن بن علي على فخذة الأخرى ثم يضمّهما ثم يقول : " اللهم ارحمهما فإني أرحمهما." (26)

وهذه المحبة التي يطالب بها الاسلام لا تتقيد بالمقدمات والشروط حيث أن الطفل يكون داخل الأسرة المسلمة محبوبا لذاته. مما يساعده على التحرك بحرية خلال بيئته فيستكشفها ويتعرف عليها دون خوف أو تردد. إنه يشعر بأن أبا محبا وأما حونا يوجدان خلفه وعلى أتم استعداد للتدخل لحمايته في حال ما يواجهه من خطر. لذلك فهو يجرب نفسه ويختبر إمكاناته على أعين الأبوين الرحيمين.. فيتسنى له بالتالي أن يتعلم ويستوعب الكثير لأن حركاته تلقائية و لا يوجد في محيط أسرته ما يثبطها أو يجعلها تتعثر. ويستطيع هذا الطفل فيما بعد أن ينقب المحبة خارج الأسرة إلى المجتمع الاسلامي الواسع وبذلك يلتقي مع بقية المسلمين على هذا التحاب والتواد والتآخي والتراحم ليصبحوا كما وصفهم الرسول- صلى الله عليه وسلم - " كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى." (27) أما حين لا تتحقق هذه المحبة بالنسبة الكافية فإنه في الغالب ما ينشأ الأطفال منحرفين لا يحسنون التآلف مع الآخرين ولا يفهمون جيدا معاني التعاون والتآزر والتضحية. ولا غرابة إذا وجدنا بين 80 و90% من الأحداث الجانحين و المجرمين يأتون من أسر تفتقر إلى عناصر المحبة و الحنان و العطف، كما جاء في تقرير منظمة اليونسكو بعد دراسة أجرتها على عينات من الأطفال من مختلف بلدان العالم. (28)

### أسباب نجاح نظام الأسرة في الاسلام

1- لا يبيح الاسلام الممارسة الجنسية خارج العلاقة الزوجية. فإشباع الحاجة الجنسية لا بد أن يتم في إطار العلاقة الشرعية، إذ يعتبر الاسلام الزنا من الكبائر .. و لهذا شرّعت ضد مرتكبيها عقوبة قاسية ترعب

من تسؤل لهم نفوسهم بالإقبال عليها. وبهذه الكيفية يتحوّل إشباع الغريزة الجنسية إلى استثمار في صالح استقرار الأسرة المسلمة.

**2- تعظيم الرابطة الزوجية ومواجهة النزاع ومعالجته.** فقد عظم الإسلام من شأن هذه الرابطة. قال الله تعالى مخاطباً الزوج "وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً." (29) وحثّ الأزواج على حسن معاشرة زوجاتهم وعدم الاستجابة لعاطفة ونزوات النفس. فقال جل شأنه "وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً." (30) كما دعا الإسلام إلى بذل الجهد في إحداث الصلح والتوفيق بين الزوجين كلما دعت الحاجة إلى ذلك. ففيما يتعلق بنشوز النساء دعا القرآن الكريم هؤلاء الأزواج إلى الأخذ بيد زوجاتهم وإصلاح حالهن بالحكمة. قال الله عز وجل "واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً." (31) أما في حال توقّف الشقاق وحتى لا تنتسب أخبار الأسرة إلى خارجها مما قد يزيد الوضع تازماً فقد نصح القرآن الكريم بأن يختار من الأسرة حكماً من أهل الزوجة وحكماً من أهل الزوج للقيام بهمة الإصلاح. قال الله تعالى "وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً." (32) ومن حرص الإسلام على الإبقاء على الرابطة الزوجية أنه أباح مراجعة الزوج لزوجته إذا طلقها وظهرت رغبة استئناف الحياة الزوجية من جديد. قال الله تعالى "وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً." (33)

**3- تشريع مبدأ الإمساك بالمعروف أو التسريح بالإحسان.** يقول الله تعالى "وأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف." (34) فالإسلام لا يؤكد إلا على الزواج الناجح الذي يوتي ثماره ويضمن الحقوق والسعادة للجميع، أما الزواج الذي يتعارض وهذه المصالح ولا يحقق الهدف الذي شرع من أجله فإن الإسلام قد شرع الطلاق عندما يصبح هذا الأخير حلاً حاسماً. وأثبتت الدراسات العلمية أن الأطفال الذين ينتمون إلى أسر حصل فيها الطلاق يكونون أحسن حالاً من الأطفال الذين يعيشون في أسر لم يحدث فيها الطلاق، ولكنها تعاني من مشاكل الشجار المفتوح والمتمر بين الزوجين بحيث صار الأفراد فيها يحيون حياة تعسة وصعبة. (35) كذلك فإن الأسر الشقية التي تتخطب في مثل هذه الصراعات العقيمة تميل في الغالب إلى إهمال مصالح الأطفال وحاجاتهم. (36) والمهم أن طبيعة الآثار التي تترتب على عملية الطلاق بالنسبة للطفل تتوقف على طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين الأبناء وأبويهم. ومع ذلك فإن الإسلام ينصح بأن تكون المفارقة "وإذا تعذرت الحياة في نطاق الإمساك بمعروف، كما يقول دروزة، من غير مضارة ولا إرهاب ولا ابتزاز ولا تشاتم ولا مكيدة." (37)

**4- حقوق وواجبات الزوجين والأطفال جاءت واضحة ومفصلة.** فلا مجال للالتباس حول تحديد مهام كل طرف ولا مجال للاختلاف حول هذه الحقوق والواجبات. ونظراً لأهمية الأسرة في المجتمع الإسلامي فقد تولى القرآن الكريم مهمة تحديد الكثير من هذه الأحكام حتى أن ثلث الأحكام التي تضمنها هذا الكتاب المقدس جاءت تعالج موضوع الأسرة.

**5- يعالج الإسلام الأسرة في علاقتها بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى ويحدد دورها ومكانتها من خلال نظرته إلى الإنسان و تقديره لدوره المنوط به في هذه الحياة.** لذلك فإن الحياة الأسرية هي خاصة و لأفرادها الحق في تحديد طبيعتها.. والأصل في الوضع الطبيعي الصحيح لهذه الخلية عدم التدخل في شؤونها.. وهذا في الحقيقة عنصر قوة يزيد أفراد الأسرة تماسكاً وعالم الأسرة برمتها جمالاً ورونقاً.. لكن إذا تأكدت للسلطة المشرفة أن حدود الله منتهكة وأن حقوق، خاصة، الأطفال مهملة، فإنه يصبح من الواجبات الدينية على من ولي أمر المسلمين أن يندخل لإحقاق الحق وحماية الأبرياء والمحافظة على مصداقية شرع الله في الواقع المعيش. بهذا يكون الزواج في الإسلام زواجا إنسانياً في أهدافه ووسائله.. تتعزز به معاني الاجتماع كما تتأكد فيه كرامة الفرد. فعن طريقه تتم المحافظة عن النوع الإنساني ويتحقق للفرد السكون النفسي.. وهو سبيل تبادل المودة و الرحمة بين الرجل والمرأة علماً بأن حاجة كل منهما إلى الآخر كحاجة الإنسان إلى الملابس " لستر معايب الجسم، كما يقول طبارة، ولحفظه من عاديات الأذى وللتجمل والزينة." (38) وهكذا يسعى الزوجان، كل منهما نحو الآخر، لحفظ شرفه وصيانة عرضه وتوفير راحته وصحته. (39) وقد عبرت الآية القرآنية عن هذا التكامل الحلوي أبلغ تعبير، فقال الله تعالى واصفاً علاقة الزوجة بزوجها والزوج بزوجته "هنّ لباس لكم أنتم لباس لهنّ." (40)

**الخاتمة**

إن الإنسانية تتخطب في أزمت خانقة وما قدّم من حلول إلى حد الساعة زاد من تعاستها وخاصة عندما اعتمدت هذه الحلول المقترحة على تهميش دور الأسرة. هذه الأخيرة مع مرور الوقت فقدت مصداقيتها وأصبحت عاجزة عن حماية نفسها والحفاظ على كيانها فضلاً عن تقديم مساهمتها لإسعاف البشرية. وبذلك تعطل دور هذه الخلية في حياة

المجتمعات وأصبحت تعيش في تبعية للواقع بعد أن تغير كل شيء.. وإذا كانت الدعوة إلى الاستغناء عن خدمات الأسرة لا تزيد الإنسان إلا شقاوة فإن الاعتماد على الأسرة في وضعها الحالي لا يساعد على احتواء ما يعاني منه هذا الإنسان. ومن المؤكد حسب نتائج الدراسات أن النظام الأسري في خضم الصراعات القائمة لا يستطيع أن يسترجع مكانته ببعض الإصلاحات البسيطة التي يمكن أن تجرى عليه.. فالأزمة التي يعرفها أعمق من ذلك. فانطلاقاً من الفلسفة التي تأسس عليها و طبيعة الدور المحدد له والأهداف التي يعمل لها، أصبح وجوده كعدم وجوده .. من هنا ضرورة التعجيل بالتفكير في البديل، والأسرة التي بُنيت على أساس الشريعة الإسلامية واستطاع نظامها أن يثبت خلال قرون طويلة في وجه الأزمات والأعاصير ويتجاوز كل أنواع العقبات والتحديات في أوقات الشدة وفي أوقات الرخاء هي البديل الأنسب.

الهوامش

- 1- سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 1، ص.235  
2- سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 1، ص.236

- 3- Bettelheim, B.(1950). Love is not enough.  
4- Brown, F.(1937). Neuroticism of institution versus non-institution children. p.379..  
5- Bowlby, J.(1953). Child care and the growth of love. p.53.  
6- Wolff. S .(1969). Children under stress. p.53.  
7- Nash.J. (1965).  
8- Bowlby, J.(1953). pp.78-79.  
9- المرجع السابق ص. 78-79.  
10- Wolff. S .(1965).  
11- Bryan Wilson.(1962). The teacher's role. p.26-27.  
12- Russell,Bertand.(1932). Marriage and morals. p.162.  
13- Zimmerman,C.C. (1974). Family and civilization. pp.805-808.  
14- Fletcher, Ronald.(1973). The family and marriage in Britain. pp.60-65.  
15- سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 2، ص.632.  
16- سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 2، ص.633.  
17- U.N.E.S.C.O. (1976).The Book of the year. pp.757- 765.  
18- سورة البقرة ، الآية 229.  
19- سورة البقرة ، الآية 230.  
20- النحلاوي، عبد الرحمن،. أصول التربية الإسلامية. ص. 123.  
21- سورة الأعراف، الآية 189.  
22- سورة الروم ، الآية 21.  
23- حديث رواه البخاري، أخرجه في كتاب الأدب، باب: رحمة الولد و تقبيله ومعانقته ، رقم 9650 ومسلم: في كتاب المساجد، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة ، رقم 543.  
24- حديث رواه البخاري، أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم 5651، ومسلم، في كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان و العيال و تواضعه وفضل ذلك، رقم 2317 و 2318 .  
25- حديث رواه البخاري، أخرجه في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم 5652 ، ومسلم ، في كتاب الفضائل ، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم 2317، وابن ماجه في كتاب الأدب باب بر الوالد ، والإحسان إلى البنات ، رقم 3665..  
26- حديث رواه البخاري، أخرجه في كتاب الأدب ، باب وضع الصبي على الفخذ، رقم: 5657، وابن حبان، في كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رجالهم ونسائهم، رقم 6961.  
27- حديث رواه مسلم. وأخرجه مس في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين، رقم 2586 و البخاري، في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، بنص " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" رقم 5665  
28- Maynard, J.N. (1970). Child Study. p.157.  
29- سورة النساء ، الآية 21.  
30- سورة النساء ، الآية 19.  
31- سورة النساء ، الآية 34.  
32- سورة النساء ، الآية 35.  
33- سورة البقرة ، الآية 226.  
34- سورة البقرة ، الآية 229.  
35- Nye,F.I.(1957).Child adjustment in broken and unhappy unbroken homes. pp.356-361  
36- Porter, B.M. (1955). The relationship between marital adjustment and parental acceptance of children. pp.157-164  
37- دروزه، محد عزة . المرأة في القرآن و السنة.  
38- طبارة، عفيف. روح الدين الإسلامي.  
39- طبارة، عفيف. روح الدين الإسلامي.  
40- سورة البقرة ، الآية 187.



## المصادر

### 1- القرآن الكريم

### 2- الحديث النبوي الشريف:

1-1. البخاري . أبو عبد الله ، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (194-256). صحيح البخار . دتر ابن كثيرن بيروت، دمشق. اليمامة للطبع والنشر و التوزيع.

2-2. ابن حبان، الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى 1991.

2-3. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (209-273 هـ)، سنن ابن ماجة ، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ، الرياض.

2-4. مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين (206-261) صحيح مسلم . بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ، الرياض.

## المراجع

1- سيد قطب، في ظلال القرآن.(1982) المجلد 1، المجلد 2. دار الشروق.بيروت ، القاهرة. الطبعة العاشرة

2- النحلوي، عبد الرحمن.(1979) أصول التربية الاسلامية. دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى.

3- دروزة، محمد عزة.(1968) المرأة في القرآن والسنة (مركزها في الدولة والمجتمع وحياتها الزوجية المتنوعة وواجباتها وحقوقها وآدابها). منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط.1.

4- طبارة، عفيف.(1977) روح الدين الاسلامي. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة 14.

5- Bettelheim, B.(1950). Love is not enough. <http://125.22.75.155:8080/handle/123456789/5037>

6- Bowlby, J.(1953). Child care and the growth of love. *Harrnonas-worth: Penguin Books*. ID. Clarke, ADB (1968): *Brit. J. Psychiat*, 114, 1061.

7- Brown, F. (1937). Neuroticism of institution versus non-institution children. *Journal of Applied Psychology*, 21(4), 379.

8- Bryan Wilson.(1962). The teacher's role. p.26-27.

9- Fletcher, Ronald.(1973). The family and marriage in Britain. pp.60-65.

10- Maynard, J.N. (). Child Study. p.157.

11- Nash.J. (1965).

12- Nye,F.I.(1957).Child adjustment in broken and unhappy unbroken homes. pp.356-361

13- Porter, B.M. (). The relationship between marital adjustment and parental acceptance of children. pp.157-164

14- Russell, Bertand.(1932). Marriage and morals. p.162.

15- U.N.E.S.C.O. (1976).The Book of the year. pp.757- 765.

16- Wolff. S.(1965). Wolff, S., & Chess, S. (1965). An analysis of the language of fourteen schizophrenic children. *Journal of Child Psychology & Psychiatry*. كان حظ الأطفال الذين يعيشون مع أسرهم أوفر في أن يحبوا حياة سليمة وأن يتمتعوا بحياة استقرار وسعادة.(10)

17- Wolff. S. (1969). Children under stress. Penguin Books .p.53..

18- Zimmerman,C.C. (1974). Family and civilization. pp.805-808. Zimmerman, C. C. (2008). *Family and civilization*. Simon and Schuster.

19- Zimmerman, C.C.(1974).Family influence upon religion. *Journal of Comparative Family Studies*, 5(2), 1-16.